بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[المجلس الأول]

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، الحمد لله حتىٰ يرضىٰ، والحمد لله عند الرضىٰ، والحمد لله علىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفىٰ المختار صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله وأصحابه الأطهار الخيار-.

أما بعد:

فمعاشر الفضلاء أرحب بالجميع في هذا اليوم الرابع، هذا اليوم العلمي من أيام هذه الدورة المقامة في مسجد نبينا صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء إن أعظم ما يعتني به المسلم عمومًا، وطالب العلم خصوصًا: أن يضبط أصول أهل السنة في العقيدة، وأصول أهل السنة في المنهج، فإن أصول أهل السنة في العقيدة والمنهج فارقة ومميزة بين أهل الحق والهدىٰ، وأهل الضلال والهوىٰ، فأصول أهل السنة والجماعة التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة إنما يتمسك بها أهل التقىٰ وأهل الهدىٰ، ويسير عليها أهل السنة والجماعة.

وإن من الرسائل الجامعة النافعة لأصول أهل السنة والجماعة [رسالة عقيدة الرازيين]، فإنها حوت أصول أهل السنة الكبار في العقيدة، كما سيتبين لنا -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

وقد رأيت أن أقسم شرح هذه الرسالة في يومين؛ في هذا اليوم وفي يوم الغد -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-، وذلك أني رأيت أن المادة العلمية في هذه الرسالة قوية،وتحتاج إلى صبر، وتحتاج إلى مراجعة وتأمل، ولا شك أن طول المجلس مع قوة المادة العلمية يثقل على النفس، ويضعف معه الفهم إذا طال المجلس، فرأيت أن أجعل شرح هذه الرسالة في يومين، وسنشرح -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- ما أردنا شرحه اليوم حتى نفرغ منه -إن شاء الله-، ثم نشرح الباقي في يوم الغد -إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

وقد رأيت أن أجعل شرح هذه الرسالة في هذه الدورة شرحًا خالصًا لبيان ما عليه أهل السنة والجماعة دون أن نخلطه بذكر كلام المخالفين.

وعزمت -إن شاء الله عزَّ وجلَّ- أن أجعل هذه الرسالة ضمن دروس العقيدة في فجر السبت -إن شاء الله-ونشرحها إذاك شرحًا مفصلًا؛ نذكر فيه كلام أهل السنة والجماعة، وكلام الفرق المخالفة، ونفنده، ونرد عليه -إن شاء الله عزَّ وجلَّ-.

أما في هذه الدورة فرأيت أن نبدأ بالأصل، وأن نقرر كلام أهل السنة والجماعة في هذه الأصول الكبار، فيتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا.

(المتن)

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَىٰ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أما بَعْدَ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال: الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم -رحمه الله-: قَالَ.

(الشرح)

عبد الرحمن بن أبي حاتم إمام حافظ من أئمة المسلمين، وهو معروف بكثرة أسئلته لأبيه، حتىٰ بلغت ثلاثة آلاف سؤال، وقد ذكر -رحمه الله- أنه كان يسأل والده حتىٰ وهو يأكل؛ حرصًا منه علىٰ العلم النافع وعلىٰ نفع الأمة، وقد نفع الله بأسئلته نفعًا عظيمًا، وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم: أن يكون حريصًا علىٰ أن يستخرج من العالم الذي يلقاه خيرًا ونفعًا لأمة محمد صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينبغي أن يكون حسن القصد، حسن السؤال، حسن نقل الجواب؛ حتىٰ يكون من المصلحين، وحتىٰ ينفع الله -سبحانه وتعالىٰ- به.

(المتن)

قال -رحمه الله-: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي -رَحِمَهُما اللهُ تَعَالَى-.

(الشرح)

قال: (سَأَلْتُ أَبِي)، وأبوه هو الإمام الحافظ محمد بن إدريس الرازي، المشهور بأبي حاتم الرازي، ولِد سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة، ورحل في طلب العلم صغيرًا، وهو ابن أربعة عشر سنة.

وارتحل كثيرًا، وطوَّف في الأمصار، وله في رحلاته في طلب العلم أخبار عجيبة، وصبر قلّ أن يوجد من إنسان.

وينبغي على طلاب العلم أن يقرأوا سير هؤلاء الأئمة؛ حتى يدركوا أنهم مهما بذلوا فإنه قليل، وحتى يعينهم ذلك -بإذن الله- على الصبر والثبات.

أبو حاتم عُد شيوخه الذين سمع منهم، فبلغوا ثلاثة آلاف شيخًا.

وقد شُهد له بالإمامة، والحفظ والفقه والصلاح والإصلاح، وتوفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

وأما (وَأَبَا زُرْعَةَ الرَّازِي)، هو الإمام الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وهو المشهور بأبي زرعة وُلد سنة أربع وتسعين ومائة -على التحقيق- وارتحل في طلب العلم، وطوَّفي في الأمصار، ولقي كثيرًا من كبار شيوخ أهل السنة، وشُهِد له بالإمامة والحفظ والفقه في الدين، والصلاح والإصلاح، حفظ الحديث وهو شاب، حتى قال الإمام أحمد -رحمه الله عزَّ وجلَّ- عنه: **[يحفظ هذا الشاب تسعمائة ألف حديث]**، هذا وهو شاب، الإمام أحمد يشهد له أنه يحفظ تسعمائة ألف حَدِيْثِ تُوُفِّيَ -رحمه الله- سنة أربع وستين ومائتين من الْهِجْرَةُ، فهما إمامان جليلان طوَّفا في الأمصار، ولقيا كثيرًا من شيوخ أهل السنة الكبار.

(المتن)

قال -رحمه الله-: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ.

(الشرح)

أهل السنة هم الذين يعظِّمون سنة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتجون بها في الدين كله، ولا يفرِّقون بينها في الاحتجاج؛ بل كل ما ثبت منها عندهم حجة في دين الله كله، بخلاف أهل الأهواء الذين لا يعظِّمون سنة النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقفون عندها، ولا يحتجون بها، لاسيما في الاعتقاد.

كما أن أهل السنة والجماعة هم الذين يتفقون على العقيدة، والعقيدة من أسمائها: السنة، فلا يستحق اسم أهل السنة إلا من يتفق مع أهل السنة على عقيدة السلف -رضوان الله عليهم-.

كما أن أهل السنة هم الذين يرجعون إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجاوزون ذلك بخلاف أهل الأهواء.

وهذا الاسم -أعني أهل السنة- قديم من زمن الصحابة -رضوان الله عليهم-.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦]، قال: «**تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة**»، رواه الآجري واللالكائي، وابن أبي حاتم في تفسيره.

ومن صفات أهل السنة والجماعة: أنهم أهل اتفاق إلا فيما يسوغ فيه الخلاف.

من سمات أهل السنة والجماعة أنهم أهل اتفاق، إلا فيما يسوغ فيه الخلاف، فقد يقع بينهم الخلاف.

قال ابن القيم -رحمه الله- مبينًا لم يمتاز أهل السنة والجماعة بالاتفاق والائتلاف، قال: **[وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع أخذوا الدين من عقولهم، وآرائهم، فأورثهم التفرق والاختلاف]**.

يا طلاب العلم إن سبب الاتفاق والائتلاف أن نلزم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأن لا نغتر بفهومنا، ونترك فهم السلف، مهما بلغنا من العلم، ومهما بلغنا من الفضل يجب أن نقيَّد فهمنا

للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، ومن ظن أنه جاوز القنطرة، وصار أهلًا ليفهم بنفسه دون فهم السلف لابد من أن يقع في الانحراف كلًا أو بعضًا.

كما أن من سمات أهل السنة: أنهم مع كونهم أهل اتفاق وائتلاف هم أهل ثبات، لا يتركون الأصول المعلومة أو بعضها لقول أحد كائنًا من كان في الفضل.

نعم يعرفون لذي الفضل فضله، ويقيمون له وزنه، لكن لا يتركون الأصل لخطأ في قوله؛ بل يخطئون قوله، ويكبتون على الأصل، ولا يسقطون أهل الفضل الذين قالوا قولًا بناءً على ما يرونه من الأدلة، لا على أصول فاسدة، لا يسقطونهم عن فضلهم، ولا يطلقون اللسان فيهم؛ بل يحفظون لهم مقامهم، ويقدمون أصول أهل السنة على أهل الفضل إن كان من أهل الفضل من خالف شيئًا منها كلًّا، أو جزءًا، هذه أمور لابد أن تُعلم.

(المتن)

قال: عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ.

(الشرح)

هذا الأمر الأول في هذه الرسالة الشريفة: أصول أهل السنة والجماعة في أصول الدين، أي: في العقيدة.

وأصول الدين لإخراج الفقه الذي اصطلح عليه، فإن الفقه يسمى الفروع، أما العقيدة فتسمى أصول الدين، ولا نكارة في هذا الاسم.

لا نكارة في اسم أصول الدين؛ بل اسم أصول الدين من أسماء العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وإنما النكارة التي حكاها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله عزَّ وجلَّ- في بناء التكفير على التفريق بين أصول الدين وفروع الدين، فيجعلون التكفير باعتداءٍ في أصول الدين، ويمنعون التكفير في فروع الدين، وكلا الأمرين مخالف لما كان عليه السلف، فإن السلف ما كانوا يبنون التكفير على تقسيم الدين إلى أصول وفروع.

فلا ينبغي فهم كلام شيخ الإسلام على غير مراده؛ لأن بعض الناس يأتي إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، فيرى أنه قال في مواطن كثيرة هذا من أصول الدين، وأصول الدين تقتضي-

كذا، بينما حكى أن تقسيم الدين إلى: أصول وفروع بدعة، فيقولون: شيخ الإسلام متناقض ولا يضبط كلامه، والحقيقة أنهم هم ما ضبطوا الكلام، فالأمر إنما هو كما ذكرناه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ.

(الشرح)

هذا الأمر الثاني في هذه الرسالة الشريفة، وهو: ذكر ما كان عليه علماء الأمصار، وشيوخ أهل السنة الكبار اللذين أدركهم هذان الإمامان الكبيران.

وهذا يدل على: إجماع أهل السنة والجماعة على هذه العقيدة، وأن هذا هو الذي كان شائعًا في الأمصار قبل دخول علم الكلام، وقبل شيوع شأن علماء أهل الكلام.

وهذا مهم جدًّا؛ لأن المبتدعة اليوم يقولون: إن ما تقولون إنه كلام أهل السنة والجماعة القائلون به قليل، وإنما الشائع -مثلًا- الأشعرية أو نحو ذلك.

نقول: إن هناك أمرين عظيمين من إدراكهما في هذا الأمر:

الأمر الأول: أن الذي كان شائعًا في أمصار المسلمين في صدر الإسلام في خير أهل الإسلام هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

نعم وجدت فِرق من آخر زمن الصحابة كالخوارج والقدرية، لكن لم يكن لهم شأن، وكان الشائع المنتشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

إذًا الأصل هو: انتشار عقيدة أهل السنة والجماعة.

والأمر الثاني: أن عقيدة أهل السنة والجماعة انتشرت بالعلم والبرهان. عقيدة أهل السنة والجماعة كانت شائعة، ولا زالت تشيع بالعلم والبرهان.

أما عقيدة الأشاعرة وأمثالهم فإنما شاعت بقوة السلطان؛ حيث تبناها سلاطين في الأرض، فانتشرت، وفرضت على الناس فرضًا، كما يدرك هذا من يدرس تاريخ الفِرق.

وسر اتفاق أهل السنة والجماعة في العقيدة: وحدة المصدر والمرجع:

فالمصدر: كتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمرجع: صحابة رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا وجدت وحدة المصـدر ووحدة المرجع لابد من أن يقع الاتفاق على كما لا يسـوغ الخلاف فيه، وهذا ما كان بين أهل السنة والجماعة.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ.

(الشرح)

هذا الأمر الثالث في هذه الرسالة الشريفة، وهو: ما يعتقده هذان الإمامان الكبيران.

فهذه أمور ثلاثة عظيمة، شريفة وجدت في هذه الرسالة حيث سأل عنها عبد الرحمن بن أبي حاتم -جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فَقَالَا: " أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ.

(الشرح)

ذكر أنهما أدركا علماء الأمصار، وليسوا أي علماء؛ بل العلماء الكبار المشهورون في تاريخ العلم في الأمصار.

قالا: (فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ):

المذهب هنا المراد به: ما يذهب إليه هؤلاء الأئمة في الاعتقاد.

لكن الحظ شيئًا: السؤال ورد فيه عن مذاهب؛ بالجمع، عن مذاهب، والجواب كان فيه: (فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ) بالإفراد، وهنا يمكن أن يكون الجمع باعتبار تعدد الأشخاص، لا باعتبار تعدد المعتقد، باعتبار تعدد الأشخاص، فينسب المذهب إلى كل أحد بحسبه، وإن كانت العقيدة واحدة فالجمع بهذا الاعتبار.

ويمكن أن يكون الجمع باعتبار السؤال كانه قال: **هل لهم مذاهب في أصول الدين؟**

فكان الجواب: إنما لهم مذهب واحد يذهبون إليه.

ويمكن أن يكون الجمع باعتبار أن المذهب هو الأصل، أن المذهب معناه الأصل، فيكون سأل عن أصول أهل السنة والجماعة في أصول الدين.

(المتن)

قال -رحمه الله-: فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

(الشرح)

هذان أصلان عظيمان من أصول أهل السنة والجماعة:

أولهما: أن الإيمان الذي من أتى به يكون من أهل الدين، ومن لم يأت به لا يكون من المسلمين، هذا المراد بالإيمان هنا؛ أن من أتى به يكون من أهل الدين، ومن لم يأت به لا يكون من المسلمين، أن هذا الإيمان قول وعمل، وقد أجمع على ذلك السلف، وأهل السنة والجماعة، وتعددت ألفاظهم في التعبير عنه، **ومؤداها واحد:**

أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

ولابد من هذه الثلاثة، ولا ينفع واحد منها إلا بالاثنين، فلابد من اجتماعها؛ حتى يكون الإيمان صادقًا.

فقول اللسان، والعمل الظاهر بلا اعتقاد نفاق، كان المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون مع الصحابة خلف رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنهم لا يعتقدون، فهذا نفاق.

وزعم الاعتقاد والعمل بلا قول مع القدرة كفر وعناد.

الذي يقول: أنا أقول إنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأعتقد هذا، أي **الذي يقول**: أنا أعمل بأخلاق الإسلام، وأعمال الإسلام، وأعتقد الإسلام، لكن ما أقول.

بعض الذين يعيشون مع المسلمين اليوم يقولون هذا، يقول: أنا أعتقد وأعمل حتى أصوم معكم، لكن ما أقول؛ هذا كفر وعناد.

وزعم القول والاعتقاد بلا عمل مصدِّق كذب ودعوى بلا برهان.

والمعلوم: أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، كما قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ»، متفق عليه، رواه البخاري ومسلم.

فلا يدخل الجنة إلا من حقق الإيمان، فأتى بالقول، واعتقد، وأتى بالعمل المصدق، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وأصل أهل السنة والجماعة.

وقوله (قَوْلٌ وَعَمَلٌ):

القول هنا يشمل: قول القلب.

وقول القلب هو: المعرفة والتصديق والإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله -تعالى-، هذا يسمى عند العلماء قول القلب.

ويشمل -أيضًا-: قول اللسان.

وقول اللسان هو: الإتيان بالشهادتين مع القدرة.

قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[المائدة:٤١]. إذًا لابد من الإيمان بالقول والإيمان بالقلب.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشره»، متفق عليه.

إذًا هذا قول القلب.

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ...﴾[البقرة:١٣٦] الآية. فهذا أمر بالقول.

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، متفق عليه.

إذًا القول يشمل: قول القلب، وقول اللسان.

والعمل يشمل: عمل القلب من الخوف والرجاء والمحبة والخشية، وانقياد القلب، ونحو ذلك.

ويشمل: عمل الجوارح، كالصلاة والزكاة، ونحو ذلك.

ويشمل: عمل اللسان، وهو: كل قول صالح غير الشهادتين، أي: غير الشهادتين التي يظهر بهما الإيمان ويدخل بهما في الإسلام، مثل: ذكر الله -سبحانه وتعالى-، هذا يسمى عند العلماء: عمل اللسان.

قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:١٤].

وقال -تعالى-: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[المجادلة:٢٢]، هذا عمل القلب.

وقال -سبحانه-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:١] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون:٢] الآيات.

فهذه أعمال الجوارح وهي من الإيمان.

وقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءِ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»، رواه مسلم.

فالإيمان شُعب:

منها: شعب قوليه، «فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

ومنها: شُعب عملية «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنْ الطَّرِيقِ».

ومنها: شعب قلبية «وَالْحَيَاءِ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ».

فإذا قيل: الإيمان قول وعمل فسّر بما ذكرناه.

وإذا قيل: الإيمان قول وعمل واعتقاد، أو قول وعمل ونية، أو قول وتصديق وعمل، فإنه هنا يكون القول قول اللسان، أي: الإتيان بالشهادتين. والعمل عمل الجوارح.

والاعتقاد والتصديق أو الإقرار أو النية ما في القلب من معرفة وتصديق وانقياد وعمل.

وهذا كله أمر مستقر عند أهل السنة.

قال الإمام مالك وأبو بكر بن عيَّاش، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد: [الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ وَالْإِقْرَارُ وَالْعَمَلُ]، رواه عبد الله بن أحمد.

وقال عبيد بن عمير الليثي: [لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ يُفْعَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ]، رواه الإمام أحمد في السنة.

انتبهوا! الفعل أوسع من العمل؛ الفعل يشمل القول والعمل؛ ولذلك قال: **[قَولٌ يفْعل]**، أي: قول يُظهر، **[وعمل يعمل]**.

وقال الشافعي -رحمه الله-: [الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادُ الْقَلْبِ]، ألا ترى قول الله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

قال -رحمه الله-: [فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا، وَهِيَ: قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، وَعَقْدٌ]، الصلاة فيها: قول، وفيها: عمل، وفيها: اعتقاد، ويأتي الإنسان فيها بالشهادتين.

وارتباط هذه الثلاثة ببعضها في حقيقة الإيمان ظاهر جلي، **فإنا نقول: ما تعريف الإيمان؟**

فيقول موافقنا: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

وهذا لا يخالف فيه أحد من أهل السنة أبدًا، لا قيمًا ولا حديثًا، ما نعرف أحدًا من أهل السنة إلا وهو يقول: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

وإن اختلفت الألفاظ إلا أن المؤدى واحد.

فنقول: هذا الذي لم يعمل بجوارحه قط مع العلم والقدرة، هل هو مؤمن؟

فإن قال: نعم، هو مؤمن؛ قلنا: نقضت تعريفك؛ لأنه وُجد الإيمان بلا عمل مطلقًا، وهذا ينقض التعريف.

تعرفون أنتم طلاب العلم أن صورة تخرج عن التعريف تنقض التعريف.

فإن قال: لا، ليس بمؤمن؛ لأن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ قلنا: حصل المقصود ووجب عليك أن ترجع عن قولك، هذا من جهة النظر.

وما نعتقده نحن ونقرره، ونكرره من إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة مطلقًا دليل على أنه لا يوجد الإيمان بلا عمل.

نحن نقول: إن ألفاظ بعض الصحابة في تكفير تارك الصلاة مطلقًا صريحة، ولا تقابلها ألفاظ صريحة تخالفها، وهذا يدل على إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة مطلقًا، فإن لم توافقنا على الإجماع، ولم تسلّم لنا بالأدلة فأقل ما يكون: أن تُسلّم أن هناك من أهل السنة والجماعة من كان يقول: إنه لا يوجد إيمان بلا عمل. **أقول هذا لماذا؟**

لأني رأيت بعض طلاب العلم اليوم يقولون: إن مسألة العمل في الإيمان من جهة كفر تارك العمل بالكلية إنما حدثت في القرن الأخير، ما كانت معروفة عند السلف، وهذا غلط، غلط عظيم؛ لا شك أنها كانت معروفة عند السلف، أقل ما يقال: إنها معروفة؛ لأنه لا أحد ينازع في كون بعض الصحابة كان يكفر تارك الصلاة.

ثم إن ألفاظ السلف ظاهرة جليّة في هذا، من ذلك قول علي -رضي الله عنه وأرضاه-: «**لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا نِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ**»، رواه ابن بطة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ**»، أي: لا ينفع في الإيمان قول إلا بعمل، «**وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ**».

النية هنا يراد بها أمران:

الاعتقاد، والإخلاص.

«**وَلَا نِيَّةَ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ**»؛ لأنه لا يقبل الله العمل إلا إذا كان فيه الإخلاص والاتباع، والإيمان لابد فيه من العمل؛ إذًا لابد من موافقة السنة، العمل الذي يُصدَّق به الإيمان لابد من أن يكون فيه إخلاص وموافقة للسنة؛ لأنه إذا خلا من هذا كان مردودًا على صاحبه، فلا يكون مصدقًا لإيمانه.

وبنحو هذا القول بنصه قال ابن مسعود، كما في الإبانة، وبنحوه -أيضًا- بنصه؛ بل بنصه قال الحسن البصري، كما عند اللالكائي في شرح عقيدة أهل السنة.

وقال الأوزاعي -رحمه الله-: **[أَدْرَكتُ مَنْ أَدْرَكتُ من صَدْرِ هَذه الْأُمَّة لَا يُفَرِّقُونَ بيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَلِ]**، أي: العمل عندهم من الإيمان، **[وَلَا يَعُدُّونَ الذُّنُوبَ كُفْرًا وَلَا شِركًا]**، أي: ما يكفرون بالمعاصي.

انتبهوا! ترك العمل غير الذنوب والمعاصي؛ ترك العمل يتعلق بالدين، والذنوب والمعاصي متعلقة بالمخالفة؛ ولذلك قال: قال الأوزاعي فيما حكاه عن من أدركه من صدر هذه الأمة: **[لَا يُفَرِّقُونَ بيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَلِ، وَلَا يَعُدُّونَ الذُّنُوبَ كُفْرًا وَلَا شِركًا]** ثم قال: **[وَالْإِيمَانُ وَالْعَمل كَهَاتَيْنِ، وَقَالَ بِأُصْبعيْه: لَا إِيمَانَ إِلَّا بعملٍ، وَلَا عَمَلَ إِلا بِإِيمَان]**، رواه حرب الكرماني في مسائل الإمام أحمد.

وَقَالَ الأوزاعي -أيضًا-: **[كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَان وَالْعَمَلِ؛ الْعَمَلُ مِنْ الْإِيمَان**

وَالْإِيمَانُ من الْعَمَل؛ وإنَّمَا الْإِيمَانُ اسمٌ يَجْمَع كَمَا يَجْمَعُ هَذه الْأَدْيَانَ اسْمُهَا ويُصدِّقُهُ الْعَمَل، فَمن آمن بلِسَانه وَعرف بِقَلْبِه وَصدَّق بِعَمَلِه فَتلْك الْعُروَة الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمن قَالَ بِلِسَانِه وَلَمْ يعرف بِقَلْبِه وَلَمْ يُصدّقْ بِعَمَلِه لَمْ يُقْبل مِنْه وَكَانَ فِي الْآخِرَة من الْخَاسِرين]، رواه ابن بطة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل هذا الكلام: [وَهَذَا مَعْرُوفٌ عَن غَيْرِ وَاحِد من السَّلَف وَالْخَلَف]،أي: السلف ومن بعدهم، [أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَمل مُصدِّقًا للْقَوْل]، قال هذا في مجموع الفتاوى،

[هَذَا مَعْرُوفٌ عَن غَيْرِ وَاحِد من السَّلَف وَالْخَلَف؛ أَنَّهُم يَجْعَلُونَ الْعَمَلَ مُصَدِّقًا لِلْقَوْل].

وقال سفيان بن عيينة: [الْإِيمَانُ قَوْلٌ وعَمَلٌ، أَخَذْنَاهُ مِمَّن قَبْلَنَا، وأَنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلٌ إلَّا بِعَمَلٍ]، رواه الآجري وابن بطة.

وقال الإمام أحمد: [الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ إلَّا بِعَمَلٍ]، رواه أبو يعلى في الإيمان.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: **[الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، كما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة على ما هو مقرر في موضعه، فالقول تصديق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعمل تصديق القول، فإذا خلا العبد من العمل بالكلية لم يكن مؤمنا]**، هذا نص شيخ الإسلام ابن تيمية، **[فإذا خلا العبد من العمل بالكلية لم يكن مؤمنا... إلى قوله وأيضا فإن حقيقة الدين: الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئًا، فما دان لله دينًا، ومن لا دين له فهو كافر]**.

وقال الحافظ بن عبد البر في التمهيد: **[أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية]**.

وقال -أيضًا- بعد أن ذكر ما ينسب إلى أبي حنيفة -رحمه الله عزَّ وجلَّ- قال: **[وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر ومنهم مالك والليث بن سعد -وذكر أئمة كثيرين-، فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، مع الإخلاص بالنية الصادقة ، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم]**، إلى قوله **[ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل، كما قالت الجماعة: قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، ولم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فجعل الصلاة إيمانًا]**.

وقال أيضًا -أعني الحافظ بن عبد البر في التمهيد-: [قال سفيان بن عيينة: نحن نقول: الإيمان

قول وعمل، والمرجئة تقول: الإيمان قول].

المرجئة ينطلقون من أصولهم الفاسدة، ما يبنون على الأدلة، عندهم أصول فاسدة، فمن الظلم أن يسوى من ينطلق من النص مع صحة أصوله ولكنه أخطأ في المسألة مع من ينطلق من الأصول الفاسدة، هذا ظلم وعدوان.

أهل العدل والإحسان أهل السنة يعرفون لصاحب الفضل فضله ومنزلته وجهده، ويرجون له الأجر وإن أخطأ، ويحفظون له مقامه، ولا يسوون بين أهل البدعة الذين يبنون أمورهم على البدعة، وأقوالهم على الأصول الفاسدة وبين من يعظِّم النصوص، ويعظِّم أصول أهل السنة، ويبني قوله على النصوص.

قال الحافظ بن عبد البر في التمهيد: [وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ نَحْنُ نَقُولُ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ تَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وجعلُوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا بِمَنْزِلَةِ رُكُوبِ الْمَحَارِمِ].

انتبهوا: [وَجَعَلُوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا]، أي: من ترك الفرائض كلها، مع العلم والقدرة، جعلوا ذلك ذنبًا، وأنه مؤمن، وجعلوه بمنزلة ركوب المحارم، أي: فعل المحرمات.

[وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِنَّ تَرْكَ الْفَرَائِضِ مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ كُفْرٌ]، أي: ترك الفرائض كلها من عذر ولا جهل كفر.

[وَرُكُوبُ المحارم عمدًا من غير اسْتِحْلَالُ مَعْصِيَةٌ]، الكلام واضح وبيِّن.

وأقام على ذلك دليلًا، ذكر: أن إبليس لما أمره الله أن يسجد لآدم فكان هذا أمرً وفرضًا، فلم يسجد؛ جعل الله ذلك كفرًا، ولعنه.

أما آدم -عليه السلام- عندما نهاه الله عن الأكل من الشجرة فوسوس له إبليس فأكل منها؛ سمى ذلك معصية، والفرق واضح، وهذا أمر من فقه السلف -رضوان الله عليهم-.

وقال الآجري: **[ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معها الإيمان باللسان نطقًا، لا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمنا].**

وأنا فقط ذكرت شيئًا من عبارات السلف.

إذًا عبارات السلف تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن العمل من الإيمان.

وهذا ما يخالف فيه أحد من أهل السنة أبدًا.

والأمر الثاني: أن من لم يأت بالعمل المصدق من غير جهل ولا عذر لم يأت بالإيمان.

وقولنا من غير جهل: هذا يخرج إذا كان الإنسان في زمن جهل، كما في آخر الزمان ما يعرف إلا التوحيد، ما يعرف الأعمال، هذا زمن عذر، وهذا الذي وردت فيه بعض النصوص، وهم الذين يدخلون الجنة من غير عمل.

كذلك: مع عدم القدرة، كافر أسلم الآن ومات، أسلم ودخل في الإسلام، وقال واعتقد، لكن مات، ما أتى بأي عمل، مات؛ هذا لا يكون كافرًا؛ بل يكون مؤمنًا.

وهذا الأصل أصل جليل شريف؛ ينبغي على طلاب العلم أن يضبطوه.

والأصل الثاني: أن الإيمان يزيد وينقص، فالإيمان يزيد بالطاعة والإحسان، وينقص بالإساءة والعصيان، وهذا مترتب على ما تقدم على الأصل الأول من أن العمل من الإيمان؛ عمل القلب وعمل الجوارح من الإيمان.

وهذا الأصل معروف عند أهل السنة من زمن الصحابة، من زمن الصحابة وأهل السنة يقولون: الإيمان يزيد وينقص.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، رواه الآجري وعبدالله بن أحمد.

وقال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ**»، أي: من الصحابة، «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، ورواه أبو عبيد والخلال موصولًا.

أين وجه الدلالة؟

الصحابة مؤمنون، يقول أحدهم للآخر: تعال نؤمن، «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، أي: نزداد إيمانًا، والذي يزيد ينقص.

وكان ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: «**تَعَالَ نُؤْمِنْ سَاعَةً**»، رواه ابن المبارك.

قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[التوبة:١٢٤].

وقال -تعالى-: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[آل عمران:١٧٣].

وقال -تعالى-: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح:٤].

والمعلوم: أن ما يزيد ينقص، لا يمكن أن يقبل الزيادة إلا ما يقبل النقص.

قال ابن عبد البر: **[على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية]**.

جماعة أهل الآثار والفقه، أهل الفتوى بالأمصار انتبهوا! **[وقد روى ابن القاسم عن مالك: أن الإيمان يزيد، ووقف في نقصانه]**.

هذه رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، ما نفى النقصان، لكن وقف في القول بالنقصان على هذه الرواية، فهو وقف في القول لا في الحقيقة؛ لأن من اعتقد الزيادة اعتقد النقصان.

قال ابن عبد البر: **[وقد روى ابن القاسم عن مالك أن الإيمان يزيد ووقف في نقصانه. وروى عنه عبد الرزاق ، ومعمر بن عيسى ، وابن نافع ، وابن وهب]**، أربع أئمة إثبات، **[أنه يزيد وينقص]**، رووا هذا عن مالك أنه يزيد وينقص، **[يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث، ثم روى بإسناده إلى سلمة بن شبيب قال : سمعت عبد الرزاق يقول : سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص]**، هذه رواية عبدالرزاق عن مالك وعن غيره من الأئمة.

قال شبيب: **[قلنا لعبدالرزاق فما تقول أنت؟ قال: أقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فإن لم أقل هذا فقد ضللت وما أنا من المهتدين]**.

ونقل أيضًا ابن عبد البر بإسناده أن سفيان بن عيينة قال: **[الإيمان يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص، قال: فغضب، وقال: اسكت يا صبي؛ بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء]**.

وما أجمل قول الشيخ الأثري المحدِّث العلامة حمَّاد الأنصاري -رحمه الله-، هذا العالم بحر في العلم، بحر زاخر، ويحزنني أن طلاب العلم لا يهتمون بآثاره وبعلمه، وهم في المدينة، وقد كان في المدينة -رحمه الله-، رجل رزقه الله هيبة، أحيانًا ألقاه وفي نفسي سؤال، فما أستطيع من هيبته -رحمه الله رحمة واسعة، ومع ذلك كان صاحب دعابة، أذكر كان يأتينا في مخيم الجامعة عندما كنا في المعهد الثانوي،

وكانت الجامعة في وقت الشتاء تقيم مخيمًا في طرف الجامعة، في داخل سور الجامعة، ونبقى فيه أيامًا، ويأتينا المشايخ، وكنا نحب أن يأتي الشيخ حمَّاد؛ لأن الشيخ حماد -رحمه الله- كان يتدفق بالعلم، وكان ذا ظرفه، حتى لأذكر -وهذا أنا سمعته منه- كان هناك لقاء معه، ووضعوا الأكل مغطى على السفر، فلما رأى ذلك قال: إذا حضر الهرس بطل الدرس، وأوقف الدرس -رحمه الله رحمة واسعة-.

من لطائفه قال: [**خلاصة مذهب السلف: أن الإيمان يتألف من خمس نونات:**

الأول: قول باللسان -نون-.

والثاني: اعتقاد بالجنان.

والثالث: عمل بالأركان.

والرابع: يزيد بطاعة الرحمن.

والخامس: ينتقص بطاعة الشيطان]، هذه خمس نونات.

والعمل الذي يزداد به الإيمان -كما أشرنا- هو: عمل القلوب وعمل الجوارح، ليس فقط عمل الجوارح؛ بل حتى عمل القلوب.

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: [أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله ورجائه، ونحو هذا كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلًا عظيما].

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ.

(الشرح)

هذا الأصل العظيم أجمع عليه أهل السنة، وهو أن القرآن كلام الله، وكلام الله أوسع منه، كلام الله ليس محصورًا في القرآن، لكن القرآن من كلام الله، (**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ**)، بجميع جهاته أي: مكتوبًا، أو مقروءً، أو مسموعًا، أو محفوظًا في الصدور.

قال الطبري -رحمه الله-: [الصَّوابُ مِن الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُ: كَلَامُ اللَّهِ غَيرُ مَخْلُوقٍ كَيْفَ كُتِبَ وَحيثُ تلي وفِي أَيّ موْضعٍ قُرِئَ، فِي السَّماء وُجِدَ، وفِي الْأَرْضِ حَيْثُ حُفظَ، فِي اللَّوحِ الْمَحفُوظِ كَانَ مكْتوبا، وفِي أَلْوَاحِ صِبْيانِ الْكَتَاتِيبِ مرْسُوما، فِي حَجَرٍ نُقشَ]، كما كان يُكتب علَى العظم، [أَوْ فِي ورقٍ خُطَّ، أَوْ فِي

الْقَلْب حُفظَ، وبلسَان لُفظَ]، كله كلام الله غير مخلوق.

وما أجمل قول الإمام أحمد -رحمه الله-: [يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ لله بالْقُرْآن بخَمْسَة أَوْجُه، وَهُوَ]، أي: القرآن، [فيهَا غَيْر مَخْلُوق: حفْظٌ بقَلْب، وَتلاوةٌ بلسَان، وَسَمْعٌ بأُذن، وَنظْرَةٌ ببَصر، وَخطٌ بيَد].

الإنسان يتقرب إلى الله في القرآن بهذه الأوجه الخمسة.

قال -رحمه الله-: [فَالْقَلْبُ مَخْلُوقٌ وَالْمَحفُوظُ غَيْرُ مَخْلُوق]، القلب الذي حُفظ فيه القرآن مخلوق، والمحفوظ الذي هو القرآن غير مخلوق.

قال: [وَالتّلاوَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمتلُوُّ غَيْرُ مَخْلُوق، وَالسَّمعُ مَخْلُوقٌ وَالْمَسْمُوعُ غَيرُ مَخْلُوق، وَالنَّظَرُ مَخْلُوقٌ وَالْمنْظُور إليْه غَيْرُ مَخْلُوق، وَالْكتَابَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمَكْتُوبُ غَيرُ مَخْلُوق].

ما أجمل هذا! ما أجمل هذا البيان! وهكذا هو كلام أئمة أهل السنة والجماعة.

القرآن كلام الله بلفظه ومعناه، بحروفه ومعانيه، سمعه جبريل من الله، تكلم الله به، فسمعه جبريل -عليه السلام- من الله، وأسمعه لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسمعه للصحابة، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦]، أي: حتى يسمع القرآن، والمعلوم أن الذي سيسمعه رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يخرجه ذلك عن كونه قرآنًا؛ بل هو كلام الله -سبحانه وتعالى-.

والقرآن كلام الله، فهو المتكلم به، فهو من الله بدأ كما يقول السلف، **قال الله -عزَّ وجلَّ-:** ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الجاثية:٢].

وقال -سبحانه-: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[غافر:٢].

وقال -سبحانه-: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢].

ثم أضيف إلى جبريل -عليه السلام-؛ لأن جبريل سمعه من الله، فبلغه رسول الله، فأضيف إليه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[التكوير:١٩] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[التكوير:٢٠]، وهذا هو جبريل -عليه السلام-.

والنبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعه من جبريل فبلغه للأمة، فأضيف إليه صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة:٤٠] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾[الحاقة:٤١].

القرآن كلام الله، بدأ من الله، نزل به جبريل من الله، من ربنا -سبحانه وتعالى-، وإنما أضيف إلى جبريل؛ لأن جبريل هو الذي أسمعه لرسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأضيف إلى رسول الله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي أسمعه للصحابة، وبلغه الأمة.

هذا معنى قول السلف: **[منه بدأ]**، أي: من الله، ونزل به جبريل من الله -سبحانه وتعالى-، وإليه يعود حينما يرتفع في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا تبقى منه آية، كما أخبر بذلك ابن مسعود وغيره، وهذا لا يقال إلا عن توقيف، كما أنه يعود إلى الله وصفًا؛ لأنه صفته، فلا يوصف به غيره، هذا معنى وإليه يعود بالمعنيين، إليه يعود حيث يُرفع في آخر الزمان، فلا تبقى منه آية، وإليه يعود وصفًا، فلا يوصف به على جهة الوصفية غيره؛ لأنه كلامه -سبحانه وتعالى-.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: **[لقيت الرجال والعلماء والفقهاء بمكّة والمدينة والكوفة والبصرة والشّام والثّغور وخراسان فرأيتهم على السنّة والجماعة، وسألت عنها الفقهاء، فكل يقول]**، أي: سألت الفقهاء عن السنة، **[فكل يقول]**، أي: من السنة، **[القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود]**.

والله -عزَّ وجلَّ- يتكلم متى شاء بما شاء، فتكلم بالقرآن وأسمعه جبريل -عليه السلام-، وكلَّم موسى -عليه السلام-، **قال الله -عزَّ وجلَّ-**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، فأكده بالمصدر، والعجيب أن أحد المتأولة جاء إلى أحد القراء الكبار، وقال: أردت منك أن تقرأ بنصب لفظ الجلالة، أي: أن تقرأ «**وكلَّم اللهَ مُوسَىٰ**»، حتى يكون المتكلم موسى، فقال له: إن أطعتك فأين تذهب من قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف:١٤٣]، فبُهت.

قال: إن أطعتك ومررنا هذه، كيف تفعل بالآية الثانية الصريحة؟ فبُهت.

وقال -تعالى-: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩].

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:٢٧].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ اللهِ»، رواه أحمد والترمذي وأبو داوود وابن ماجه والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني.

والشاهد: أن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ اللهِ»، فمع كونه يبلغه سماه كلام الله، فهو كلام الله بجميع جهاته.

والأحاديث التي فيها: أعوذ بكلمات الله، كقوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ»، رواه مسلم، تدل على أن كلام الله غير مخلوق؛ إذ لو كانت مخلوقة لما استعيذ بها؛ إذ لا استعاذة لا بمخلوق ولا بكلام مخلوق، فهي تدل دلالة بيِّنة على أن كلام الله غير مخلوق.

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾[طه:١١] ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[طه:١٢] ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[طه:١٣] ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[طه:١٤]، **هل يستطيعون هنا أن يقولوا: إن المكلِّم الشجرة أو المكلِّم الصخرة أو المكلِّم مخلوق؟**

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾، لا يمكن أن يقال هنا إن المكلم غير الله -سبحانه وتعالى-، وإلا لرجعت الياء هنا ﴿إِنِّي﴾، ﴿إِنَّنِي﴾ ، ﴿فَاعْبُدْنِي﴾، إلى المخلوق -أعوذ بالله-، وما أجمل ما قاله بعض السلف.

السلف يأتون باستدلالات لطيفة، قالوا: لو كان موسى -عليه السلام- ما سمع الكلام من الله، وإنما سمعه من الصخرة أو سمعه من الشجرة، كما يقول المتأولة؛ لكان بنو إسرائيل أشرف من موسى في هذا المقام، **كيف؟**

قالوا: يكون موسى -عليه السلام- سمع هذا الكلام من صخرة أو شجرة، وبنو إسرائيل سمعوه من نبي، والنبي أشرف من الشجرة والصخرة.

إذًا على هذا التقرير الذي يقولونه يكون بنو إسرائيل في هذا المقام أشرف من موسى -عليه السلام-، ولا يمكن أن يكون هذا.

والنص من أئمة السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن كافر أكثر مما يحصى، فهو يزيد على الألف، مرة حاولت أن أحصي ذلك من سير أعلام النبلاء بدون هذه المكتبة الشاملة اليوم، فوصلت إلى ما يقرب من سبعمائة، هذا الكتاب أحبه كثيرًا، قرأته في شبابي ثلاث

مرات، لا يُمل منه، والله عندما كنت أقرأه يؤذن الفجر وأنا ما أدري، وأنا أحث طلاب العلم على قراءته، والله مدرسة، مدرسة في كل شيء، ولاسيما في أدب السلف، وطالب العلم إن لم يُلجم نفسه بأدب السلف يتيه.

الشاهد: أن النصوص عن السلف في هذا كثيرة جدًّا، وقد نقل اللالكائي هذا اللفظ عن خمسمائة وخمسين من أئمة السلف من غير إحصاء، وإنما نقل نقلًا عن خمسمائة وخمسين من أئمة السلف.

قال إسماعيل بن أويس أو ابن أبي أويس: **[سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة العلماء بالمدينة، ذكروا القرآن فقالوا: كلام الله وهو منه ، وليس من الله شيء مخلوق]**.

نقلت هذا النقل؛ لأبين لكم لماذا يحرص السلف على قولهم منه بدأ، فاليقين أنه منه بدأ، وليس منه -سبحانه- شيء مخلوق.

(المتن)

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ -عزّ وجلّ-.

(الشرح)

أهل السنة والجماعة مجمعون على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله -سبحانه وتعالى-.

والإيمان بالقدر يقوم على ستة أصول، من ضبطها ضبط الإيمان بالقدر، وارتاحت نفسه، واطمئن قلبه:

الأصل الأول: الإيمان بعلم الله المحيط، فكل قدر الله بعلم، كل قدر الله بعلم.

الأصل الثاني: الإيمان بعدل الله المطلق، فالله لا يظلم شيئًا، فكل قدر الله عدل.

ويتعلق بهذا الأصل الثالث: كل نعمة من الله فضل، وكل نقمة عدل، هذا الذي يجري به القدر إما نعمة، وإما نقمة.

كل نعمة من الله فضل، والله ما نستحقها، والله لولا فضل الله ما نستحقها، كل نعمة من الله فضل، حتى الجنة لن يدخل أحد الجنة بعمله، وإنما بفضل الله ورحمته.

وكل نقمة عدل، والله ما يصيبنا أو يصيب غيرنا من النقم، وما يضر، وما يؤذي، وما يؤلم، إنما هو عدل.

الأصل الرابع: الإيمان بحكمة الله التامة، فإن الله لا يفعل شيئًا إلا لحكمة، فقدر الله كله فيه الحكمة، قدر الله مفرح أو مؤلم فيه الحكمة، فعن حكمة تامة كان.

الأصل الخامس: الإيمان بأن ما وقع لم يكن ليقع إلا على الوجه الذي وقع، ما في مجال بعد الوقوع أن تقول لو؛ لأنه مهما كان ومهما اتخذت لم يكن ليقع إلا على الوجه الذي وقع، وأن ما لم يقع فما كان ليقع.

قال أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ، ما قَبِلَه اللهُ منك حتىٰ تُؤْمِنَ بالقَدَرَ، وتَعْلَمَ: أن ما أصابَك لم يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وأن ما أخطأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَك».

وقال ابن مسعود وحذيفة -رضي الله عنهما- مثله، وحدث زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمثله عن النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: قاله أبي، وقاله حذيفة، وقاله ابن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-، أما زيد فرفعه إلى النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدث بمثله، رواه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني.

والأصل السادس: الإيمان بمراتب القدر الأربع:

الأولى: العلم، مرتبة العلم، وهو الإيمان بعلم الله المحيط، فالله -عزّ وجلّ- علم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء:١٧٦].

وسئل النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن أولاد المشركين، فقال** صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ»، متفق عليه.

وانظروا هنا! أولاد المشركين لم يعملوا؛ لكن قال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُ أعلمُ بما كانوا عامِلينَ»، هذا الذي نقوله، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون -سبحانه وتعالى-، فكل قدر الله عن علم.

والمرتبة الثانية: الكتابة، وهي الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بما سبق به علمه -سبحانه وتعالى-، قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠].

وقال النبي صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أولُ ما خلق اللهُ القلمُ فقال له: اكتبْ فقال: يا ربِّ وما أكتبُ؟ قال: اكتب القدرَ ما هو كائنٌ من ذلك إلىٰ قيامِ الساعةِ»، رواه الترمذي، وصححه الألباني.

والمرتبة الثالثة: المشيئة، وهي الإيمان بأن كل ما هو واقع إنما هو واقع بمشيئة الله -سبحانه وتعالى-، وإرادته الكونية القدرية، أو مشيئته الكونية القدرية التي لا يخرج عنها شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

والمرتبة الرابعة: الخلق ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، و﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]. إذا ضبط المسلم هذه الأصول الستة، فإنه يمسك عمّا وراء ذلك، فإن القدر سرُّ الله، والعبد أعجز من أن يدرك التفاصيل، يضبط هذه الأصول.